تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في السورة الواحدة

قصة يوسف- عليه السلام- نموذجاً

إعداد

الجازي سعيد حمد القحطاني

أستاذ مساعد بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية والتنمية البشرية، جامعة بيشة، المملكة العربية السعودية

المستخلص:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي، والاستنباطي في هذا البحث عن طريق قراءة آيات سورة يوسف – عليه السلام-؛ لاستخراج الأسماء التي وردت فيها للمسمى الواحد. وقد اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: احتوت على أهمية الموضوع وسبب اختياري له، ومشكلة البحث، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطة البحث.

المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة «سورة يوسف»، من حيث بيان: أسماءها، وجه تسميتها بهذا الاسم، وسبب نزولها، ومكيها ومدنيها، وعدد آياتها، وحروفها وكلمها، وترتيبها المصحفي والنزولي، وأهم مقاصدها الكلية.

المبحث الثاني: أسرار ودلالات تغاير الأسماء والمسمى واحد من خلال «سورة يوسف»، ويشتمل على:- أسرار ونكات ودلالات لفظي: ﴿الْكِتابِ﴾، ﴿الْقُرْآنَ﴾.

- أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿رَبُّكَ﴾، ﴿اللهِ﴾.
- أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿السُّوءَ﴾، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾.
- أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿أَحْلَامٍ﴾، ﴿لِلرُّؤْيَا﴾.
- أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿سنين﴾، ﴿عام﴾.
- أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿أَخانا﴾، ﴿ابْنَكَ﴾.
- أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿السِّقايَةَ﴾ ، ﴿صُواعَ﴾.
- أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿بَنِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾.
- أسرار ونكات ودلالات ألفاظ: ﴿مِصْرَ﴾، ﴿الْمَدِينَةِ﴾، ﴿خَزائِنِ الْأَرْضِ﴾، ﴿الْقَرْيَةَ﴾..

الكلمات المفتاحية: المسمى، الأسماء، تغاير، يوسف، السورة، القصة.

The Variation of Names for the Same Referent in a Single Story within a Single Surah: The Story of Yusuf (Peace Be Upon Him) as a Model

Dr. Al-Jazi Saeed Hamad Al-Qahtani
Assistant Professor, Department of Islamic Culture, College of Education and Human Development, University of Bisha, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: aljaza2030s@gmail.com

Abstract:

The researcher employed the inductive and deductive methodologies in this study by analyzing the verses of Surah Yusuf (Peace Be Upon Him) to extract the various names used to refer to the same entity within the Surah.

The study consists of an introduction, two main sections, a conclusion, and appendices.

Introduction: It outlines the significance of the topic, the reasons for selecting it, the research problem, its questions, previous studies, the methodology adopted, and the research structure.

Section One: An overview of the Surah, covering its names, the reason for naming it as such, the circumstances of its revelation, its classification as Makki or Madani, the number of its verses, words, and letters, its placement in the Qur'anic order and chronological sequence, and its primary objectives.

Section Two: The secrets and implications of the variation in names referring to the same entity within Surah Yusuf, including:

-Secrets, jokes and semantics: 'The Book', 'The Qur'an'.
- Secrets and connotations of heteroglossia: 'Your Lord', 'God'.
- Secrets and connotations of heteroglossia: 'Bad' and 'Obscenity'.
- Secrets and connotations of heteroglossia: 'Dreams', 'Visions'.
- Secrets and connotations of verbal heterogeneity: ' Sennen', 'Year'.
- Secrets and connotations of heteroglossia: 'Our Brother', 'Your Son'.
- Secrets and connotations of heteroglossia: 'Al-Suqayyah', 'Sawaa'.

- Secrets and connotations of heteroglossia: 'My Grief', 'My Sorrow'.
- Secrets, jokes and connotations of the words: 'Egypt', 'The City', 'The Treasuries of The Earth', ' The Village'.

Keywords: Referent, Names, Variation, Surah Yusuf, Story.

المقدمة:

الحمد لله الذي نور بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأسكتت فصاحته الخطباء، والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم الذي خصه الله بجوامع الكلم وآتاه الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه إلى يوم الحساب،،، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تكفل الله - جل وعلا بحفظه - فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقد هيأ الله - تعالى- لأمة الإسلام الأسباب والبواعث التي حافظوا من خلالها على كتابه – بعد أن تلقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة - سبحانه – فتلقفته الأمة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحفظوه وفهموه، وعملوا به، وأحيوا به ليلهم، وتدارسوه فيما بينهم تحقيقاً لوعده السابق بحفظه حتى أضحت هذه العناية بحق أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب وأجلها، وأبعدها من التحريف والتغيير .

لقد أدرك المسلمون مكانة القرآن الكريم، واعتنى به العلماء سلفاً وخلفاً، ويشهد التاريخ أن أمة الإسلام قد خدمت كتاب ربها – سبحانه- بما لم تخدم به أمة كتابها، وبذل العلماء في سبيل ذلك الغالي والنفيس، وأخبارهم في ذلك مشهورة، وأعمالهم – إن شاء الله – مشكورة حتى زخرت المكتبة الإسلامية بميراث مجيد من تراث سلفنا الصالح، وعلمائنا الأعلام، وكانت هذه الثروة- ولا تزال- مفخرة نتحدى بها أمم الأرض، ونباهي بها أهل الملل في كل عصر ومصر.

وقد أردت أن أشارك في وضع لبنة صغيرة في هذا الجهد؛ من خلال إظهار إعجاز القرآن الكريم، وبيان بلاغته؛ فجاء بحثي هذا الموسوم ب: ((تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في السورة الواحدة قصة «يوسف- عليه السلام- نموذجاً»)).

هذ، والله أسأل أن يوفقني لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على الحبيب المصطفي والنبي المجتبى وعلى آله وصحبه أجمعين، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

أسباب اختياري للموضوع:

ثمة أسباب عديدة دفعتني لاختيار هذا الموضوع، أذكر منها:

أولاً: المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية مِنْ خلال هذا الموضوع خدمة لتفسير كتاب الله تَعَالَى .

ثانياً: إظهار إعجاز كتاب الله – عز وجل –، وبيان إلهية مصدره، وبيان عظمة بلاغته، وغزارة معانيه وأسراره.

ثالثاً: الدفاع عن ساحة القرآن الكريم ونفي الشكوك والريب عنه، والرد على بعض المشككين الذين يطعنون في القرآن الكريم من خلال ما تشابه أو تماثل أو تكرر من ألفاظ القرآن وآياته، مدعين أن ما به من المتشابه اللفظي غير مفهوم، أو تكرار لا هدف له.

حدود البحث:

اقتصرت الدراسة على جمع واستقراء الآيات القرآنية التي تعدد فيها الأسماء للمسمى الواحد من خلال «يوسف- عليه السلام-» دون التطرق إلى غيرها من الآيات في السورة الأخرى إلا ما استدعاه المقام والحاجة حتى لا يطنب الكلام في البحث ويتفرع.

مشكلة البحث، وتساؤلاته:

يمكن أن تظهر مشكلة البحث من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

١- ما مفهوم «تغاير الأسماء للمسمى الواحد»؟

٢- ما فوائد تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في القرآن الكريم؟

٣- كم عدد الأسماء التي تغايرت في «سورة يوسف» والمسمى واحد؟

٤- ما الأسرار والنكات البلاغية والتربوية في تغاير الأسماء والمسمى واحد من خلال «سورة يوسف»؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقراء لم أقف – حد علمي- على دراسة علمية تناولت ظاهرة ((تغاير الأسماء للمسمى الواحد في قصة «يوسف- عليه السلام- نموذجاً»)) ودراستها من الناحية التفسيرية الموضوعية؛ من هنا عزمت على دراسة هذا البحث.

المنهج المستخدم في البحث:

لقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي(١)، والاستنباطي(٢) في هذا البحث عن طريق قراءة آيات سورة يوسف – عليه السلام-؛ لاستخراج الأسماء التي وردت فيها للمسمى الواحد التي تخدم الموضوع، ثُمَّ ترتيبها؛ للوقوف على ما له صلة بالبحث مع وضع الآيات في المبحث الخاص بها، وعزوها إلى مواضعها من سورها، مستخدماً المصادر المتنوعة من أجل خدمة البحث وجودته، وظهوره في أبهى حلة.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: احتوت على أهمية الموضوع وسبب اختياري له، ومشكلة البحث، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، ومنهجي فيه، وخطة البحث.

المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة «سورة يوسف»، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: فائدة تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التعريف بسورة «سورة يوسف».

المطلب الثالث: أهم المقاصد الكلية التي اشتملت عليها «سورة يوسف».

المطلب الرابع: إحصاء المواضع التي وردت فيها تغاير الأسماء والمسمى واحد في «سورة يوسف».

المبحث الثاني: أسرار ودلالات تغاير الأسماء والمسمى واحد من خلال «سورة يوسف»، ويشتمل على تسعة مطالب:

المطلب الأول: أسرار ونكات ودلالات لفظي: ﴿الْكِتَابِ﴾، ﴿الْقُرْآنَ﴾.

المطلب الثاني: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿رَبُّكَ﴾، ﴿اللهِ﴾.

المطلب الثالث: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿السُّوءَ﴾، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾.

المطلب الرابع: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿أَحْلَامٍ﴾، ﴿لِلرُّؤْيَا﴾.

---

(١) المنهج الاستقرائى: هو منهج يقوم على التتبع لأمور جزئية، مستعيناً بالملاحظة والتجربة، وافتراض الفروض لاستنتاج أحكام عامة، فَإِن كَانَ الاسْتِدْلَال فِيهَا من استقراء جَمِيع الجزئيات فتَام، وَإِلَّا فناقص . ينظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، د/علي سامي النشار ص٣٤٩، ط: دار النهضة العربية، بيروت، الثالثة، ١٤٠٤هـ.

(٢) المنهج الاستنباطى: هو الذي يربط العقل فيه بين المقدمات والنتائج، أو بين الأشياء وعللها على أساس المنطق والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات، وذلك عن طريق تحليل الآيات التي تتعلق بالموضوع، ثُمَّ استنباط الفوائد والعِبر والرُّؤى والأفكار من خلالها. ينظر: البحث العلمي، مناهجه وتقنياته، د/ محمد زيان عمر ص ٣٢، ط: جدة، ١٣٩٤هـ .

المطلب الخامس: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿سنين﴾، ﴿عام﴾.
المطلب السادس: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿أَخانا﴾، ﴿ابْنَكَ﴾.
المطلب السابع: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿السِّقايَةَ﴾ ، ﴿صُواعَ﴾.
المطلب الثامن: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿بَثِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾.
المطلب التاسع: أسرار ونكات ودلالات ألفاظ: ﴿مِصْرَ﴾، ﴿الْمَدِينَةِ﴾، ﴿خَزائِنِ الْأَرْضِ﴾، ﴿الْقَرْيَةَ﴾.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
الفهارس: تشتمل على أهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.
واسْأل الله – عز وجل – العون والنجاح والسداد، وأنْ يكون بحثي مفيداً نافعاً، كما اسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل صَالحاً، ولوجهه الكريم خالصاً، وأن يعينني على إخراجه على الوجه الذي يرضيه عني وينفعني به، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وهو نعم المَولى، ونعم النصير، وبالإجابة جدير.

المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة «سورة يوسف»

المطلب الأول: فائدة تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في القرآن الكريم

إن من أساليب القرآن الكريم في عرض القصص تنويع أساليبها وتغيير ألفاظها؛ فيورد القصة الواحدة، والمعنى الواحد بصور متعددة وأساليب متنوعة وألفاظ مختلفة في غاية من البلاغة والحسن والجمال بحيث لو أردت استبدال لفظ بمرادفه ووضعه في المكان الذي ورد فيه لتنافرت الألفاظ واختل نظام السياق وانسجام المعنى.

وكل ذلك من بلاغة القرآن الكريم التي تحدى بها أهل اللسان العربي وخاصة في عصر نزوله الذي وصل أهله قمة البلاغة والفصاحة.

ولعل فائدة تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في القرآن الكريم – والله أعلم- تكمن في الآتي:

- شحذ الأذهان، والحث على التدبر والتعقل لمعاني القرآن الكريم، والتنبيه على أهمية الدروس والعظات والعبر التي تضمنتها تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة.
- إثبات إعجاز القرآن الكريم، وبيان إلهية مصدره، وأنه من عند الله – عز وجل- فهو يضع كل لفظ في مكانه المناسب وبأسلوبه الرفيع وبيانه البديع دون تحريف ولا تغيير للمعنى؛ فلا اختلاف ولا تناقض فيما يذكر؛ وصدق الله العظيم حيث يقول:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ {النساء:٨٢}، والله أعلم.

المطلب الثاني: التعريف بسورة «سورة يوسف»

يجدر بي قبل الشروع في صلب البحث وعمدته أن أعرف بسورة «سورة يوسف» بصورة موجزة من حيث بيان: أسماءها، وجه تسميتها بهذا الاسم، وسبب نزولها، ومكيها ومدنيها، وعدد آياتها، وحروفها وكلمها، وترتيبها المصحفي والنزولي، وفيما يلي بيان ذلك:

أسماءها:

تسمى بسورة يوسف، وهو الاسم الوحيد لهذه السورة؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنْتُ بِحِمْصَ، فَقَالَ لِي بَعْضُ الْقَوْمِ: اقْرَأْ عَلَيْنَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ سُورَةَ يُوسُفَ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَاللهِ مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ، قَالَ: قُلْتُ: وَيْحَكَ، وَاللهِ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: «أَحْسَنْتَ»، فَبَيْنَمَا أَنَا أُكَلِّمُهُ إِذْ وَجَدْتُ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَتَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَتُكَذِّبُ بِالْكِتَابِ؟ لَا تَبْرَحُ حَتَّى أَجْلِدَكَ، قَالَ: فَجَلَدْتُهُ الْحَدَّ"(١).

وذكر ابن حجر عن ابن إسحاق أن رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف يعني بعد أن بايع النبي صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة(٢)، فدل على أن اسم السورة توقيفي(٣).

وجه تسميتها بهذا الاسم ظاهر:؛ لأنها مشتملة على قصته- عليه السلام- مع إخوته، ومع امرأة العزيز، ومع ملك مصر في ذلك الوقت(٤).

ولم يذكر اسم يوسف- عليه السلام- في غير هذه السورة سوى مرتين: إحداهما في سورة الأنعام في قوله- تعالى- ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ﴾[الأنعام: ٨٤].

والثانية في سورة غافر في قوله- تعالى- ﴿وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ﴾ [غافر: ٣٤].

سبب نزولها:

ورد سببان في سبب نزول سورة يوسف – عليه السلام- هما:

الأول: ما جاء عَنْ سَعْدٍ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه- كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا- بَابُ فَضْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَطَلَبِ الْقِرَاءَةِ مِنْ حَافِظِهِ لِلِاسْتِمَاعِ وَالْبُكَاءِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّدَبُّرِ، (١ / ٥٥١ رقم ٨٠١).

(٢) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، (٢ / ٣٧٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٢ / ١٩٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (١٢ / ١٩٧).

أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] فَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ حَدَّثْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣] ()().

الثاني: سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فأنزل الله عز وجل السورة()().

قال ابن عباس: «وذلك أن حبراً من أحبار اليهود، دخل على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم، وكان قارئاً للتوراة، فوافق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقرأ سورة يوسف كما أنزلت في التوراة، فقال له الحبر: يا محمد، من علمكها؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الله علمنيها» . فرجع الحبر إلى اليهود، فقال لهم: أتعلمون، والله إن محمداً يقرأ في القرآن سورة يوسف كما أنزلت في التوراة؟ فانطلق بنفرٍ منهم حتى جاءوا ودخلوا عليه، فجعلوا يستمعون إلى قراءته ويتعجبون، فقالوا: يا محمد، من علمكها؟ قال: «الله علمنيها» فنزلت:﴿لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]()().

مكيها ومدنيها:

القول الصحيح أن سورة يوسف جميعها مكية، ولا التفات إلى قول من قال بأن فيها آيات مدنية؛ لأن هذا القول لا دليل عليه.

قال الآلوسى: (سورة يوسف مكية كلها على المعتمد، وروى عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا: هي مكية إلا ثلاث آيات من أولها، واستثنى بعضهم رابعة وهي قوله- تعالى-:﴿لَقَدْ كانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آياتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧].

وكل ذلك واه جداً لا يلتفت إليه، وما اعتمدناه- كغيرنا- من أنها كلها مكية- هو الثابت عن الحبر أي عن ابن عباس، وقد أخرجه النحاس وأبو الشيخ وابن مردويه عنه، وأخرجه الأخير عن ابن الزبير وهو الذي يقتضيه ما أخرجه الحاكم وصححه عن رفاعة بن رافع من حديث طويل يحكي فيه قدوم رافع مكة وإسلامه، وتعليم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إياه هذه السورة، و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١])()().

عدد آياتها:

() أسباب النزول للواحدي، (ص ٤٢٦)، المحقق: كمال بسيوني زغلول- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

() لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٢ / ٥١٠).

() بحر العلوم للسمرقندي، (٢ / ١٨٠)، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، (٤ / ٤٩٥)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

() انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (٦ / ٣٦٢).

مائة وَإِحْدَى عشرَة آيَة لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَاف(١).
عدد حروفها وكلماتها:
أما كلمها فألف وست وَسَبْعُونَ كلمة، وأما حروفها فسَبْعَة آلَاف وَثَلَاثَة وَأَرْبَعُونَ(٢).
الترتيب المصحفي:
هي السورة الثانية عشرة بعد سورة هود – عليه السلام-، وقبل الرعد(٣).
الترتيب النزولي: هي السورة الثالثة والخمسون، وكان نزولها بعد سورة هود – عليه السلام-(٤).
المطلب الثالث: أهم المقاصد الكلية التي اشتملت عليها «سورة يوسف»
مقصود السورة إجمالاً: عَرْض العجائب الَّتى تتضمّنها: من حديث يوسف ويعقوب، والوقائع الَّتى فى هذه القصّة: من تعبير الرّؤْيا، وحَسَد الإخْوة، وحِيلهم فى التفريق بينه وبين أبيه، وتفصيل الصّبر الجميل من جهة يعقوب، وبشارة مالك بن دعر بوجْدان يوسف، وبيْع الإخوة أَخاهم بثمن بَخْس، وعَرْضه على البيع والشراءِ، بسُوق مصر، ورغبة زَلِيخَا وعزيز مصر فى شراه، ونظر زَلِيخَا إلى يوسف، واحتراز يوسف منها، وحديث رؤية البرهان، وشهادة الشاهد، وتعيير النسوة زَليخا، وتحيّرهنّ فى حسن يوسف، وجماله، وحبسه فى السّجن، ودخول السّاقى والطَّبّاخ إليه، وسؤالهما إيّاه، ودعوته إيَّاه إلى التَّوحيد، ونجاة السّاقى، وهلاك الطَّبّاخ، ووصيّة يوسف للسّاقى بأَن يذكره عند رَبّه، وحديث رؤيا الملك، وعجز العابرين عن عبارته، وتذكُّر السّاقى يوسف، وتعبيره لرؤياه فى السّجن، وطلب مالك يوسف، وإخراجه من السّجن، وتسليم مقاليد الخزائن إليه، ومَقْدَم إخوته لطلب المِيرة، وعهد يعقوب مع أَولاده، ووصيّتهم فى كيفيّة الدّخول إلى مصر، وقاعدة تعريف يوسف نفسه لبنيامين، وقضائه حاجة الإخوة، وتغييبه الصّاع فى أَحمالهم، وتوقيف بنيامين بعلَّة السّرقة، واستدعائهم منه توقيف غيره من الإخوة مكانه، وردّه الإخوة إلى أَبيهم، وشكوى يعقوب من جَوْر الهجْران، وأَلم الفراق، وإرسال يعقوب إيّاهم فى طلب يوسف، وأَخيه، وتضرّع الإخْوة بين يَدىْ يوسف، وإظهار يوسف لهم ما فعلوه معه من الإساءَة وعفوه عنهم، وإرساله بقميصه صحبتهم إلى يعقوب، وتوجُّه يعقوب من كَنْعَان إلى مصر، وحوالة يوسف ذَنْب إخوته على مكايد الشيطان، وشكره لله تعالى على

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٢/ ٤٧٣)، والسراج المنير الخطيب الشربيني، (٢ / ٨٧).

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن– أبو عمرو الداني، (١ / ١٦٧)، المحقق: غانم قدوري الحمد– الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت– الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

(٣) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٧ / ٢٩٩).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (٢ / ٤٤٠).

ما خوّله من الْمُلْك، ودعائه وسؤاله حسن الخاتمة، وجميل العاقبة، وطلب السّعادة، والشَّهادة، وتعيير الكفَّار على الإعراض من الحجّة، والإشارة إلى أَنّ قصة يوسف عِبْرة للعالمين().

وأما أهم مقاصدها:

الذي يطالع هذه السورة الكريمة بتدبر وتأمل، يراها قد اشتملت على أوضح الدلائل، وأنصع البراهين، التي تشهد بأن هذا القرآن من عند الله، فقد قصت علينا قصة يوسف- عليه السلام- مع إخوته ومع غيرهم بأسلوب مشوق حكيم، يهدى النفوس، ويشرح الصدور، ويكشف عن الخفايا التي لا يعلمها أحد إلا الله- تعالى-، ويصور أحوال النفس الإنسانية تصويراً بديعاً معجزاً .

كما يراها قد ساقت ما ساقت من حكم وأحكام، وعبر وعظات، بأسلوب يمتاز بحسن التقسيم، وجمال العرض، وفيما يلي عرض لأبرز مقاصدها:

- بَيَانُ قِصَّةِ يُوسُفَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة.

- إثبات أن بعض المرائي قد يكون إنباء بأمر مغيب، وذلك من أصول النبوءات وهو من أصول الحكمة المشرقية.

- تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده، وتحاسد القرابة بينهم. ولطف الله بمن يصطفيه من عباده.

-العبرة بحسب العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، وسكنى إسرائيل وبنيه بأرض مصر.

- تسلية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلهم من الأذى، وقد لقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آله أشد ما لقيه من بُعَدَاءِ كَفَّارِ قَوْمِهِ، مِثْلَ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ، وَالنَّضِرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَأَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَإِنْ كَانَ هَذَا قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، فَإِنَّ وَقْعَ أَذَى الْأَقَارِبِ فِي النُّفُوسِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ أَذَى الْبُعَدَاءِ.

- الْعِبْرَة بصبر الْأَنْبِيَاء مثل يَعْقُوب ويوسف- عَلَيْهِم السَّلَامُ- عَلَى الْبَلْوَى. وَكَيْفَ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ.

- الْعِبْرَةُ بِهِجْرَة قوم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي حَلَّ بِهِ كَمَا فَعَلَ يَعْقُوبُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَآلُهُ، وَذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ قُرَيْشًا يَنْتَقِلُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ مُهَاجِرِينَ تبعاً لهجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

() انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادي، (١ / ٢٥٦، ٢٥٧).

- فيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها وعقوباتها وتجارتها، واسترقاق الصبي اللقيط، واسترقاق السارق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل.

- فِي هَذِهِ السُّورَةِ أُسْلُوب خَاص من أساليب إعجاز القرآن؛ وهو الإعجاز في أسلوب القصص الذي كان خاصة أهل مكة يعجبون مما يتلقونه منه من بين أقاصيص العجم والروم، فكان ما في بعضها من التطويل على عادة أهل الأخبار من الفرس يموه به عليهم بأنه أشبع للسامع، فَقَدْ كَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَغَيْرُهُ يَفْتِنُونَ قُرَيْشًا بِأَنَّ مَا يَقُولُهُ الْقُرْآنُ فِي شَأْنِ الْأُمَمِ هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَكَانَ النَّضْرُ يَتَرَدَّدُ عَلَى الْحِيرَةِ فَتَعَلَّمَ أَحَادِيثَ (رُسْتُمَ) وَ (اسْفَنْدِيَارَ) مِنْ أَبْطَالِ فَارِسٍ، فَكَانَ يُحَدِّثُ قُرَيْشًا بِذَلِكَ وَيَقُولُ لَهُمْ: أَنَا وَاللَّهِ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ مُحَمَّدٍ فَهَلُمَّ أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ بِأَخْبَارِ الْفُرْسِ، فجاءت هذه السورة على أسلوب استيعاب القصة تحدياً لهم بالمعارضة(١).

- إبراز الحقائق والهدايات، بأسلوب المحاورات والمجادلات والمناقشات ... ومن مظاهر ذلك: المحاورات التي دارت حول إخوة يوسف في شأن الانتقام منه، والمحاورات التي دارت بينهم وبين أبيهم في شأن اصطحابهم ليوسف، والمحاورات التي دارت بين يوسف وإخوته، بعد أن عرفهم وهم له منكرون، وبعد أن ترددوا عليه ثلاث مرات للحصول على حاجتهم من الزاد.

وهكذا نجد السورة الكريمة زاخرة بأسلوب المحاورات والمناقشات والمجادلات. تارة بين يوسف وإخوته، وتارة بين إخوته فيما بينهم، وتارة بينهم وبين أبيهم، وتارة بين يوسف وامرأة العزيز، وتارة بينه وبين ملك مصر في ذلك الوقت.

وهذه المحاورات التي حفلت بها السورة الكريمة، قد أكسبتها لونا من العرض المشوق، الذي يجعل القارئ لها يتعجل حفظ كل موضوع من موضوعاتها، ليصل الى الموضوع الذي يليه.

وهذا الأسلوب في عرض الحقائق من أسمى الأساليب التي تعين القارئ على حفظ القرآن الكريم، وعلى تدبر معانيه، وعلى الانتفاع بهداياته.

- السورة الكريمة اهتمت اهتماما واضحا بشرح أحوال النفس البشرية وتحليل ما يصدر عنها في حال رضاها وغضبها، وفي حال صلاحها وانحرافها، وفي حال غناها وفقرها، وفي حال عسرها ويسرها، وفي حال صفائها وحقدها.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٢ / ١٩٩، ٢٠٠).

وقد حدثتنا عن الشخصيات التي وردت فيها حديثاً صادقاً أميناً، كشفت لنا فيه عن جوانب متعددة من أخلاقهم، وسلوكهم، وميولهم، وأفكارهم، وأعطت كل واحد منهم حقه في الحديث عنه()

المطلب الرابع: إحصاء المواضع التي وردت فيها تغاير الأسماء والمسمى واحد في «سورة يوسف»

حتى يكون القارىء على علم بالمواضع التي وردت فيها تغاير الأسماء والمسمى واحد في «سورة يوسف» رأيت أن أقوم بحصرها هنا قبل دراستها، فأقول – وبالله التوفيق-:

الموضع الأول:

لفظا: ﴿الْكِتابِ﴾، ﴿الْقُرْآنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف: ٢: ٣].

الموضع الثاني:

لفظا: ﴿الله﴾، ﴿الرب﴾ ورد في أكثر من موضع من السورة الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ﴾[يوسف: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[يوسف: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[يوسف: ٤٠].

الموضع الثالث:

لفظا: ﴿السُّوءَ﴾، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤].

الموضع الرابع:

لفظا: ﴿لِلرُّؤْيَا﴾، ﴿أَحْلَامٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[يوسف: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[يوسف: ٤٤].

الموضع الخامس:

لفظا: ﴿سنين﴾، ﴿عام﴾ في قوله تعالى: ﴿قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾[يوسف: ٤٧: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩].

الموضع السادس:

() انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (٧ / ٣٠٧، ٣٠٨).

لفظا: ﴿أَخانا﴾، ﴿ابْنَكَ﴾ جاء أحدهما أولاً في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣]، وثانيهما في قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾[يوسف: ٨١].

الموضع السابع:

لفظا: ﴿السِّقَايَةَ﴾ ، ﴿صُواعَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾[يوسف: ٧٢].

الموضع الثامن:

لفظا: ﴿بَثِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٨٣].

الموضع التاسع:

قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١].

قال تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠]

قال تَعَالَى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥].

قال تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢].

المبحث الثاني: أسرار ودلالات تغاير الأسماء والمسمى واحد من خلال «سورة يوسف»

المطلب الأول: أسرار ودلالات لفظي: ﴿الْكِتابِ﴾، ﴿الْقُرْآنَ﴾

لفظا: ﴿الْكِتابِ﴾، ﴿الْقُرْآنَ﴾ عطف أحدهما على الآخر في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف: ٢: ٣]، والعطف يقتضي المغايرة، فإذا اجتمعا تفرَّقا، فما الفرق بينهما؟

لفظ ﴿الْكِتابِ﴾، ورد في مواضع كثيرة علماً على القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣].

ولفظ "الكتاب" في اللغة ضم أديم إلى أديم بالخياطة، يقال: كَتَبْتُ السَّقاء، وكَتَبْتُ البغلة: جمعت بين شفريها بحلقة، وفي التَّعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض باللفظ، فالأصل في الْكِتَابَةِ: النظم بالخط لكن يستعار كل واحد للآخر، ولهذا سمِّي كلام الله- وإن لم يُكْتَبْ- كِتَاباً(١).

أسرار ودلالات لفظ ﴿الْكِتابِ﴾:

---

(١) المفردات في غريب القرآن، (ص ٦٦٩).

ولعل الملمح الدلالي للفظ الكتاب:
-"الجمع والضم عن طريق الكتابة والخط، وفيه إشارة إلى تعظيم القرآن وحفظه، وأنه أول كتاب نال شرف هذه المنزلة عند العرب حتى كتبوه حفاظاً عليه من التحريف والتبديل كما وقع في الكتب السماوية الأخرى قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ، بل هو أول كتاب عربي على الإطلاق؛ إذ لم يكن للعرب قبل نزول القرآن الكريم كتاب(١).
- ولاشتماله أيضاً على الحكم بين الناس وعلى الأمر بالعبادة وعلى الأحكام الشرعية التي شرع الله للناس؛ لما في معنى "كتب" من الدلالة على الفرض والحكم(٢) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].
ولو أبدل لفظ ﴿الْكِتَابِ﴾ بلفظ ﴿الْقُرْآنَ﴾ في بعض سياق الآيات لانخرم المعنى كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧] ، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾[الزمر: ٢].
أما لفظ ﴿الْقُرْآنَ﴾ فقد جاء أيضاً علماً على القرآن الكريم في مواطن كثيرة من كتاب الله – عز وجل- من ذلك قوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].
أسرار ودلالات لفظ ﴿الْقُرْآنَ﴾:
ولعل الملمح الدلالي للفظ "القرآن":
- جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحوادث التي وعد الله أن تقع بعد خاتم النبيين قبل النفخ في الصور، وجمع أيضاً الآيات والسور بعضها إلى بعض، وقد يطلق على الصلاة؛ لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه، وعلى القراءة نفسها، يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآناً(٣).

---

(١) انظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم– لبيان المَلامِح الفَارِقة بين الألفاظ مُتَقارِبة المعنى، والصِّيغ والأساليب المُتشابِهة – د/ محمد محمد داود (ص ٣٨٩)– ط: دار غريب– القاهرة – ٢٠٠٨م.

(٢) انظر: تهذيب اللغة، (١٠ / ٨٨).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، (٤ / ٣٠)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م– تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.

- جمع ثمرة كتب الله تعالى كلها، وثمرة جميع العلوم كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال أيضاً:﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

من خلال ما سبق تبين لنا أن ثمة فرق بين اللفظين من حيث المعنى والدلة، وفي هذا يقول ابن عاشور: (وَعَطَفَ "وَقُرْآناً" عَلَى "الْكِتابِ"؛ لِأَنَّ اسْمَ الْقُرْآنِ جُعِلَ عَلَمًا عَلَى مَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْإِعْجَازِ وَالتَّشْرِيعِ، فَهُوَ الِاسْمُ الْعَلَمُ لِكِتَابِ الْإِسْلَامِ مِثْلُ اسْمِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ لِلْكُتُبِ الْمُشْتَهِرَةِ بِتِلْكَ الْأَسْمَاءِ)([1]). أ.ه

المطلب الثاني: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿الله﴾، ﴿الرب﴾

لفظا: ﴿الله﴾، ﴿الرب﴾ ورد في أكثر من موضع من السورة الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[يوسف: ٦]، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٠]، وقوله سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[يوسف: ٤٠]، فما الفرق بينهما؟

لفظ الجلالة: ﴿الله﴾: مختص بالمعبود بالحق ولا يطلق إلا على الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، ويُذكر هذا اللفظ دائماً في سياق التخويف الشديد، وفي مقام التكليف والروعة والمهابة والتهديد والوعيد([2]) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة: ٢٧٨: ٢٧٩].

أما لفظ ﴿الرب﴾: لم يطلق على غير الله إلا مقيداً([3])؛ وبإنعام النظر في سعة هذه الكلمة واستعراض معانيها المتشعبة يتبين أن كلمة (الرب) مشتملة على جميع ما يأتي بيانه من المعاني:

- المربي الكفيل بقضاء الحاجات، والقائم بأمر التربية والتنشئة.
- الكفيل والرقيب، والمتكفل بالتعهد وإصلاح الحال.
- السيد الرئيس الذي يكون في قومه كالقطب يجتمعون حوله.
- السيد المطاع، والرئيس وصاحب السلطة النافذ الحكم، والمعترف له بالعلاء والسيادة، والمالك لصلاحيات التصرف.
- الملك والسيد([1]).

([1]) التحرير والتنوير، (١٤/ ٩).

([2]) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (١ / ٦).

([3]) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (١ / ٢٧١)، وروح المعاني، (١ / ٤٨٠).

قال ابن فارس: (إن لفظ (الرب) يدل على ثلاثة أصول هي:
الأصل الأول: إصلاح الشيء والقيام عليه؛ فالرب: المالك، والخالق، والصاحب.
والرب: المصلح للشيء، يقال: ربَّ فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها؛ والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه.
الأصل الثاني: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول؛ يقال: أربت السحابة بهذه البلدة: إذا دامت، ويقولون: قد ربّ فلان قومه: أي: ساسهم، وجعلهم ينقادون له.
الأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو أيضاً مناسب لما قبله؛ يقولون: فلان يَرُبُّ الناس: أي: يجمعهم، أو يجتمع عليه الناس.
وتأتي كلمة (الرب) بمعنى السيد أيضاً، فتستعمل بمعنى ضد العبد، أو الخادم.
ومتى أنعم النظر في هذه الأصول الثلاثة كان الباب كله قياساً واحداً)(١).
وقد جاءت كلمة (الرب) في القرآن بجميع ما ذكرناه آنفاً من معانيها؛ ففي بعض المواضع أريد بها معنى أو معنيان من تلك المعاني، وفي الأخرى أريد بها أكثر من ذلك، وفي الثالثة جاءت الكلمة مشتملة على المعاني الخمسة بأجمعها في آن واحد، وها نحن نبين ذلك بأمثلة من آي الذكر الحكيم.
بالمعنى الأول: قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[يوسف: ٢٣].
بالمعنى الثاني: وباشتراك شيء من تصور المعنى الأول: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].
بالمعنى الثالث: قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [سبأ: ٢٦].
بالمعنى الرابع: وباشتراك بعض تصور المعنى الثالث: قوله سبحانه: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١].
بالمعنى الخامس(٢): قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣: ٤].
أسرار ودلالات لفظ الجلالة ﴿الله﴾، ﴿الرب﴾:

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (١ / ١٤١ وما بعدها)، ومفاتيح الغيب، (١ / ١٩٩)، والبحر المحيط، (١ / ٣٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة، (٢ / ٣٨١، ٣٨٢).

(٣) انظر: المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، أبو علي المودودي، (ص ٢٤: ٢٦ باختصارٍ).

- لفظ الجلالة: ﴿الله﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣] دلالة واضحة على أنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله - جل وعلا- للخلاص منه، وما ذلك إلا لأنه قد علم بما أراه الله تعالى ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء.

وضم لفظ "الرب": ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ﴾[يوسف: ٢٣] يدلك على ذكر بعض الأسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثراً عندها وداعياً لها إلى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي التي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها، إنه هو سيدي العزيز أحسن تعهدي حيث أمرك بإكرامي على أكمل وجه، فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرمه؟! وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه(١).

وقد أجاد ابن عاشور حيث قال: (وَضَمِيرُ "إِنَّهُ": يجوز أن يعود إلى اسم الجلالة، ويكون "ربي": بمعنى خالقي، ويجوز أن يعود إلى معلوم من المقام وهو زوجها الذي لا يرضى بأن يمسها غيره، فهو معلوم بدلالة العرف، ويكون "ربي": بمعنى سيدي ومالكي.

وهذا من الكلام الموجه توجيها بليغاً حكي به كلام يوسف – عليه السلام- إما لأن يوسف– عليه السلام- أتى بمثل هذا التركيب في لغة القبط، وإما لأنه أتى بتركيبين

عذرين لامتناعه، فحكاهما القرآن بطريقة الإيجاز والتوجيه، وأيا ما كان فالكلام تعليلٌ لامتناعه، وتعريضٌ بها في خيانة عهدها.

وفي هذا الكلام عبرةٌ عظيمة من العفاف والتقوى وعصمة الأنبياء – عليهم السلام- قبل النبوءة من الكبائر.

وذكر وصف "الرب" على الاحتمالين لما يؤذن به من وجوب طاعته وشكره على نعمة الإيجاد بالنسبة إلى الله، ونعمة التربية بالنسبة لمولاه العزيز.

وأكد ذلك بوصفه بجملة "أحسن مثواي"، أي جعل آخرتي حسنى؛ إذ أنقذني من الهلاك، أو أكرم كفالتي.

وَجُمْلَةُ: "إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ": تعليل ثان للامتناع، والضمير المجعول اسما ل (إن) ضمير الشأن يفيد أهمية الجملة المجعولة خبراً عنه؛ لأنها موعظة جامعة، وأشار إلى أن إجابتها لما راودته ظلمٌ؛ لأن فيها ظلم كليهما؛ نفسه بارتكاب معصية مما اتفقت الأديان على أنها كبيرة، وظلم سيده الذي آمنه على بيته وآمنها على نفسها إذ اتخذها زوجاً وأحصنها)(٢).

- اعتراف يوسف – عليه السلام- بفضل العزيز؛ وذلك من شيم الكرام والأنبياء في نسبة الفضل إلى أهله؛ ولذا عبر بكلمة (الرب) التي تجمع صفات المالك والسيد والمربي

---

(١) روح المعاني، (٦ / ٤٠٢).

(٢) التحرير والتنوير، (١٢ / ٢٥١، ٢٥٢).

والهادي والمرشد والمعلم كما قال تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ٦]، فالفارُّ إلى مَنْ يلتجيء؟ هل يلتجيء إلا إلى سيده ومالكه وصاحب نعمته ومدبر أمره والقيّم عليه؟ فهو وزَرهُ وإليه مستقرُّه، فهل ترى أنسب من كلمة (رب) ههنا؟

- كرر يوسف عليه السلام في خطابه لأهل مصر في هذه الآيات تسمية عزيز مصر بكلمة "ربهم"؛ فذلك لأن أهل مصر بما كانوا يؤمنون بمكانته المركزية وبسلطته العليا، ويعتقدون أنه مالك الأمر والنهي، فقد كان هو ربهم في واقع الأمر، وبخلاف ذلك لم يُرد يوسف عليه السلام بكلمة (الرب) عندما تكلم بها بالنسبة لنفسه إلا الله تعالى فإنه لم يكن يعتقد فرعون بل الله وحده المسيطر القاهر ومالك الأمر والنهي؛ قال تعالى: ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[يوسف: ٥٠]()().

مما سبق تبين لنا أن لفظ (الرب): تجيء في سياق ذكر فضل الله على الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]؛ فهو سبحانه المتفضل عليهم، والذي أنشأهم وأوجدهم من عدم وأنعم عليهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١].

الخطاب في الآية هنا للناس جميعاً، وهو سبحانه يذكر النعمة عليهم بأن خلقهم والذين من قبلهم، ولذا جاءت كلمة (ربكم) بمعنى الربوبية؛ وعادة عندما تذكر الهداية في القرآن الكريم تأتي معها لفظ الربوبية (رب)()().

بينما لفظ الجلالة "الله": تأتي في سياق الجلاء والخشية والرهبة من المعبود، وقد استعمل يوسف – عليه السلام- اللفظين كل فيما يناسب معناه بحيث يضعه موضعه الصحيح، والله أعلم

المطلب الثالث: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿السُّوءَ﴾، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾

لفظا: ﴿السُّوءَ﴾، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ عطف أحدهما على الآخر في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤]، والعطف يقتضي المغايرة، فما الفرق بينهما؟

﴿السُّوءَ﴾: كل ما يغم الإنسان من الأمور الدّنيويّة، والأخروية، ومن الأحوال النّفسيّة، والبدنيّة، والخارجة، من فوات مال، وجاه، وفقد حميم، وعبّر عن كلّ ما يقبح بِالسَّوْأَى،

() انظر: المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، (ص ٢٥).

() انظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د/ فاضل بن صالح بن مهدي السامرائي، (ص، ٢٠٩، ٥٨٦).

ولذلك قوبل بالحسنى فقال تعالى:﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾ [الروم: ١٠]، والسَّيِّئَةُ: الفعلة القبيحة، وهي ضدّ الحسنة قال تعالى:﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ [البقرة: ٨١].
والحسنة والسّيئة ضربان: أحدهما: بحسب اعتبار العقل والشرع، نحو المذكور في قوله: ﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها﴾ [الأنعام: ١٦٠] ، وثانيهما: حسنة وسيّئة بحسب اعتبار الطّبع، وذلك ما يستخفّه الطّبع وما يستثقله(١ نحو قوله: ﴿فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قالُوا لَنا هذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١].
﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: الْقَبِيح من القَوْل وَالْفِعْل، وكل أَمر لَا يكون مُوافِقاً للحق وَالْقدر فاحِشٌ(٢ فهي كلمة تَدُلُّ عَلَى قُبْحٍ فِي شَيْءٍ وَشَنَاعَةٍ، يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فَهُوَ فَاحِشٌ، وَيَشْتَدُّ قُبْحُه من الذُّنُوبِ والمَعَاصِي، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا يُتَكَرَّهُ، وَرُبمَا جعلُوا الْفَحْشَاء الْفُجُور وهو الزنا وهو الأغلب في إطلاقها(٣ قال تعالى: ﴿إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].
قال ابن عاشور: (وَالسُّوءُ: الضُّرُّ مِنْ سَاءَهُ سَوْءًا، فَالْمَصْدَرُ بِفَتْحِ السِّينِ، وَأَمَّا السُّوءُ بِضَمِّ السِّينِ فَاسْمٌ لِلْمَصْدَرِ.
وَالْفَحْشَاءُ: اسْمٌ مُشْتَقٌّ مِنْ فَحُشَ إِذَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ الْمَعْرُوفَ فِي فِعْلِهِ أَوْ قَوْلِهِ، وَاخْتُصَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِمَا تَجَاوَزَ حَدَّ الْآدَابِ وَعَظُمَ إِنْكَارُهُ؛ لِأَنَّ وَسَاوِسَ النَّفْسِ تَتُولُ إِلَى مَضَرَّةٍ كَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْقَتْلِ الْمُفْضِي لِلثَّأْرِ أَوْ إِلَى سَوْأَةٍ وَعَارٍ كَالزِّنَا وَالْكَذِبِ، فَالْعَطْفُ هُنَا عَطْفُ لِمُتَغَايِرَيْنِ بِالْمَفْهُومِ وَالذَّاتِ لَا مَحَالَةَ بِشَهَادَةِ اللُّغَةِ وَإِنْ كَانَا مُتَّحِدَيْنِ فِي الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ لِدُخُولِ كِلَيْهِمَا تَحْتَ وَصْفِ الْحَرَامِ أَوِ الْكَبِيرَةِ وَأَمَّا تَصَادُقُهُمَا مَعًا فِي بَعْضِ الذُّنُوبِ كَالسَّرِقَةِ فَلَا الْتِفَاتَ إِلَيْهِ كَسَائِرِ الْكُلِّيَّاتِ الْمُتَصَادِقَةِ)(٤.
وبناء على ذلك فقد فرق أكثر المفسرين بين لفظي ﴿السُّوءَ﴾، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ هنا، وذكروا فيهما أقوالاً:
الأول: ﴿السُّوءَ﴾ خيانة العزيز في أهله.
الثاني: قيل: ﴿السُّوءَ﴾ السُّوءَ مقدمات الفحشاء من القبلة والنظر بشهوة.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، (ص ٤٤١).
(٢) المحكم والمحيط الأعظم، (٣ / ١١٤).
(٣) انظر: جمهرة اللغة، (١ / ٥٣٧)، ومقاييس اللغة، (٤ / ٤٧٨)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، (٣ / ٤١٥)، وتاج العروس، (١٧/ ٢٩٧).
(٤) التحرير والتنوير، (٢ / ١٠٥).

الثالث: قيل: ﴿السُّوءَ﴾ هو الأمر السيء مطلقاً؛ فيدخل فيه الخيانة المذكورة وغيرها. بينما ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: الزنا لأنه مفرط القبح، وقيل: المباشرة(١).
قال الإمام الشوكاني: (وَالْأَوْلَى الْحَمْلُ عَلَى الْعُمُومِ فَيَدْخُلُ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ دُخُولًا أَوَّلِيًا)(٢).
من خلال ما سبق تبين لنا أن "السوء" أعم من "الفاحشة"، والعلاقة بينهما علاقة خصوص بعموم، وأن الملامح الدلالية لهذين اللفظين هي:
- الفعل القبيح .
- شدة الاستهجان .
- التعمد.
- شدة الاستنكار والنفور.
- بين الإنسان والآخرين(٣).
وفي الجمع بين نفي اللفظين عن يوسف – عليه السلام- مبالغة في حفظه وبعده عن الخنا والفجور، وأعظم برهان على عصمة الله – عز وجل- لأنبيائه ورسله – عليهم السلام-؛ ولذا ذيل الله الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤] دلالة على عفة يوسف – عليه السلام- بحيث لم يصدر عنه أدنى ما يشينه أو يذمه بحال من الأحوال، وفي هذا رد على من نسب الفاحشة له – عليه السلام- .
قال الفخر الرازي: (وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَاهِيَّةَ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ مَصْرُوفَةٌ عَنْهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ الَّتِي نسبوها إليه أعظم أنواع وَأَفْحَشُ أَقْسَامِ الْفَحْشَاءِ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَشْهَدَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ بِكَوْنِهِ بَرِيئًا مِنَ السُّوءِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَتَى بِأَعْظَمِ أَنْوَاعِ السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ؛ فَلَا يَلِيقُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ أَنْ يَحْكِيَ عَنْ إِنْسَانٍ إِقْدَامَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ عَظِيمَةٍ ثُمَّ إِنَّهُ يَمْدَحُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِأَعْظَمِ الْمَدَائِحِ وَالْأَثْنِيَةِ عَقِيبَ أَنْ حَكَى عَنْهُ ذَلِكَ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، فَإِنَّ مِثَالَهُ مَا إِذَا حَكَى السُّلْطَانُ عَنْ بَعْضِ عَبِيدِهِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ وَأَفْحَشَ الْأَعْمَالِ ثُمَّ إِنَّهُ يَذْكُرُهُ بِالْمَدْحِ الْعَظِيمِ وَالثَّنَاءِ الْبَالِغِ عَقِيبَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُسْتَنْكَرُ جِدًّا فَكَذَا هاهنا)(٤).

---

(١) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٢ / ٤٨٦)، والجامع لأحكام القرآن، (٩ / ١٧٠)، والنكت والعيون، (٣ / ٢٦)، وروح المعاني، (٦/ ٤٠٨).
(٢) فتح القدير، (٣ / ٢٢).
(٣) انظر: معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، (ص ٤٤).
(٤) مفاتيح الغيب، (١٨ / ٤٤٠).

وقال أبو السعود: (وفيه آيةٌ بينةٌ وحجةٌ قاطعةٌ على أنه عليه السلام لم يقع منه همٌّ بالمعصية ولا توجَّه إليها قط وإلا لقيل لنصرِفَه عن السوء والفحشاء وإنما توجه إليه ذلك من خارجٍ فصرَفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفةِ والعصمةِ فتأمل)(١).

المطلب الرابع: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿لِلرُّؤْيَا﴾، ﴿أَحْلَامٍ﴾

لفظا: ﴿لِلرُّؤْيَا﴾، ﴿أَحْلَامٍ﴾ عطف أحدهما على الآخر في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[يوسف: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[يوسف: ٤٤]، والعطف يقتضي المغايرة، فما الفرق بينهما؟

الناظر في الاستعمال اللغوي لكلا اللفظين يجد أن معناهما:"ما يَراهُ النائمُ:، وَعَلِيهِ مَشى أكثرُ أهلِ اللَّغة(٢).

بينما في العرف القرآني لا يجيز وضع أحدهما موضع الآخر، فقد استعمل القرآن لفظة ﴿أَحْلَامٍ﴾: ثلاث مرات، يشهد سياقها بأنها الأضغاث المهوشة والهواجس المختلطة، وتأتي في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع؛ دلالة على الخلط والتهويش لا يتميز فيه حلم من آخر(٣) قال تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾[يوسف: ٤٤]، وقال أيضاً في جدل المشركين:﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم، الواحد: ضغث، فاستعيرت لما تجمعه القوةُ المتخيّلة من أحاديث النفس ووساوسِ الشيطان وتريها في المنام(٤)، وحاشية الملك تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان، فجعلوه أضغاث أحلام، فأرادوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة، فيقولوا: ليس لها عندنا تأويل، فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة، وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير في تأويل الرؤى مع أن لها تأويلاً(٥)، ولذا قول الملك لهم أولاً "إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ" دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها؛ لأنه أتى بكلمة الشك فجاء اعترافهم بالقصور مطابقا لشك الملك الذي أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين(٦).

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ٢٦٧).

(٢) انظر: مختار الصحاح، (ص ١١٥)، وتاج العروس، (٣١/ ٥٢٥).

(٣) انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، (ص ٢١٥).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ٢٨١).

(٥) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل، (٢ / ٤٧٤، ٤٧٥).

(٦) انظر: روح المعاني، (٦ / ٤٤٢).

والأحلام وحدثان النفس ملغاة، والرؤيا هي التي تعبر ويلتمس علمها، ويعتنى بأمرها(١).

أما لفظ ﴿لِلرُّؤْيَا﴾: فقد جاءت في القرآن الكريم "سبع مرات"(٢)، كلها جاء في سياق الرؤيا الصادقة وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد، دلالة على التميز والوضوح والصفاء(٣) قال تعالى:﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِيْنَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[الفتح: ٢٧]، وقال أيضاً: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٤: ١٠٥]، ورؤيا يوسف - عليه السلام- حق قد تحققت ووقعت قال تعالى:﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[يوسف: ١٠٠]، ورؤيا الأنبياء– عليهم السلام- وحي من الله – تعالى- فهي صادقة لا محالة؛ فعَنْ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفِثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلاَثًا وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَرَاءَى بِي»(٤).

مما سبق يتبين لنا أن "الحلم"، و "الرؤيا" مشتركان في كونهما يراهما النائم، وقد ذكر أهل العلم فرقاً بينهما يتمثل في كون الرؤيا تغلب فيما يُرى من الخير، والحلم فيما يُرى من الشر والقبح(٥)، وشبهت تلك الرؤيا بِالْأَضْغَاثِ؛ لأنها مختلطة من عناصر شتى أي فلا يتأتى تأويلها -على زعم حاشية الملك-(٦).

لفظ "الرؤيا": فيه دلالة على الاضطراب والاختلاط والقبح والشر والنذارة، بينما "الحلم": فيه دلالة على الحسن والخير والبشارة.

المطلب الخامس: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿سنين﴾، ﴿عام﴾

لفظا: ﴿سنين﴾، ﴿عام﴾ عطف أحدهما على الآخر في قوله تعالى: ﴿قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، (٣ / ٢٤٨).

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، (ص ٢٨٥).

(٣) انظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، (ص ٢١٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير– بَابُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنَامِ، (٩/ ٣٣ رقم ٦٩٩٥).

(٥) انظر: لسان العرب، (١٢ / ١٤٥).

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)– د. محمد حسن حسن جبل، (٣ / ١٢٩١)، ط١: مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٠ م.

يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾[يوسف: ٤٧: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩]، والعطف يقتضي المغايرة، فما الفرق بينهما؟
"السَّنة": الحول، وأرض سنهاء أصابتها السنة وهي الجدب، والسنة عند العرب أربعة أزمنة وربما أطلقت السنة على الفصل الواحد مجازاً؛ يقال دام المطر السنة كلها والمراد الفصل(١).
و"السنة": من أول يوم عددته إلى مثله، و "العام": قِيلَ: سُمِّيَ العَامُ عَامًا؛ لِعَوْم الشَّمْسِ فِي جَمِيعِ بُرُوجِها، ويَدُلُّ على مَعْنى العَوْم قَولُه تعَالَى: ﴿وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون﴾ [يس: ٤٠] (٢)، وهي حول يأتي على شتوة وصيفة فلا يكون إلا شتاء وصيفاً(٣).
وعلى هذا فالعام أخص من السنة، وليس كل سنة عاماً، فإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة، وقد يكون فيه نصف الصيف، ونصف الشتاء.
والعام لا يكون إلا صيفاً أو شتاء متواليين.
وتظهر فائدة ذلك في اليمين والنذر، فإذا حلف أو نذر أن يصوم عاماً لا يدخل بعضه في بعض إنما هو الشتاء والصيف، بخلاف ما لو حلف ونذر سنة(٤).
ولفظ "السَّنة" في القرآن الكريم تدل عادة على الجدب والقحط؛ يقال: أسنت الناس إذا أصابهم قحط، ويقال: أصابتنا سَنَة بمعنى جدب وقحط؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، وقال أيضاً: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]، وقد جاءت مجموعة ومثناة ومفردة، وَيَكْثُرُ إِسْنَادُ الْعُسْرِ وَالْجُوعِ إِلَى سِنِيِّ الْجَدْبِ، يُقَالُ: أَكَلَتْ لَنَا هَذِهِ السَّنَةُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَمْ تُبْقِ لَنَا خَفِيًّا وَلَا حَافِرًا، وَلَا سَبَدًا وَلَا لَبَدًا، أَيْ لَا شَعْرًا وَلَا صُوفًا(٥).
أما كلمة "عام": فهي عادة تستعمل في الخير في الغالب، ولم ترد في القرآن الكريم مجموعة أو مثناة وإنما جاءت مفردة(٦).
قال الراغب الأصفهاني: (كثيراً ما تستعمل السَّنة في الحول الذي يكون فيه الشِّدّة أو الجدب؛ ولهذا يعبّر عن الجدب بالسّنة، والْعَامُ بما فيه الرّخاء والخصب قال تعالى:﴿ثُمَّ يَأْتِي

---

(١) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (١ / ٢٩٢).
(٢) انظر: تاج العروس، (٣٣ / ١٥٧).
(٣) انظر: معجم الفروق اللغوية، (ص ٣٤٨).
(٤) انظر: معجم الفروق اللغوية، (ص ٣٤٩)، وتاج العروس، (٣٣ / ١٥٦).
(٥) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (١٢ / ٣٦٤).
(٦) انظر: روح المعاني، (٦ / ٤٤٥)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (٣ / ١٥٢٠).

مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ﴾ [يوسف: ٤٩]، وقولُه تَعَالَى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] ، ففي كون المستثنى منه بالسّنة والمستثنى بِالْعَامِ لطيفة؛ لأنَّ الخَمْسين سَنَة مَضَتْ قَبْل بعْثَتِه وقَبْلها لم يَحْصَل لَهُ أَذىً مِن قوْمِ، وأَمَّا من بعْثَتِه فَهِيَ شدَّةٌ عَلَيْهِ)(١).

فعبَّر الله بلفظ "سنة"؛ ذماً لأيام الكفر، وقال: "عاماً": إشارة إلى أنّ زمان حياته- عليه السلام- بعد إغراقهم كان رغداً واسعاً حسناً بإيمان المؤمنين، وخصب الأرض(٢).

من خلال ما سبق تبين لنا أن لفظ "السنة": تدل على القحط والجدب، وشدة المؤونة، بينما "العام" يدل على وفرة الخير وكثرته؛ فقوله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ﴾أَيْ يَأْتِيهِمُ الْغَيْثُ وَهُوَ الْمَطَرُ وَتُغَلُّ الْبِلَادُ، وَيَعْصِرُ النَّاسُ مَا كَانُوا يَعْصِرُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ مِنْ زَيْتٍ وَنَحْوِهُ، وَسُكَّرٍ وَنَحْوِهُ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: يَدْخُلُ فِيهِ حَلْبُ اللَّبَنِ أَيْضًا(٣).

قال السعدي: (أي: فيه تكثر الأمطار والسيول، وتكثر الغلات، وتزيد على أقواتهم حتى إنهم يعصرون العنب ونحوه زيادة على أكلهم؛ ولعل استدلاله على وجود هذا العام الخصب مع أنه غير مصرح به في رؤيا الملك؛ لأنه فهم من التقدير بالسبع الشداد، أن العام الذي يليها يزول به شدتها، ومن المعلوم أنه لا يزول الجدب المستمر سبع سنين متواليات إلا بعام مخصب جداً، وإلا لما كان للتقدير فائدة، فلما رجع الرسول إلى الملك والناس، وأخبرهم بتأويل يوسف للرؤيا، عجبوا من ذلك، وفرحوا بها أشد الفرح)(٤).

إن هاتين اللفظتين ﴿سنين﴾، ﴿عام﴾ قد وصفتا الحالة الاقتصادية والاجتماعية لأهل مصر في أثناء تلك الفترة، ولخصتا ما حل بهم من جدب وشدة، وانفراج ويسر.

المطلب السادس: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿أَخانا﴾، ﴿ابْنَكَ﴾

لفظا: ﴿أَخانا﴾، ﴿ابْنَكَ﴾ جاء أحدهما أولاً في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ٦٣]، وثانيهما في قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾[يوسف: ٨١]، فما الفرق بينهما؟

---

(١) المفردات في غريب القرآن، (ص ٥٩٨).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٤ / ٤٠٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٤ / ٣٣٦).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص ٣٩٩).

لفظ "أخانا": يحتمل أن يكون شقيقاً لهم أو أخاهم من أبيهم أو أمهم.
لفظ "ابنك": كأنهم تبرؤا منه؛ فهو أرادوا أنه أخيهم من أبيهم دون أمهم كما قال تعالى على لسان يوسف: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٥٩]، وقال حكاية عنهم: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[يوسف: ٧٧]، وكأنهم حاولوا إبعاد التهمة والمعرة عن أنفسهم دون يوسف – عليه السلام- وأخيه بنيامين.
قال أبو حيان: (كَأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي رُمِيَ بِهِ بِنْيَامِينُ حَقًّا، فَالَّذِي رُمِيَ بِهِ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ حَقٌّ، لَكِنَّهُ قَوِيَ الظَّنُّ عِنْدَهُمْ فِي حَقِّ يُوسُفَ بِمَا ظَهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ جَرَى مِنْ بِنْيَامِينَ، وَلِذَلِكَ قَالُوا:﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾[يوسف: ٨١].
وَقِيلَ: حَقَّقُوا السَّرِقَةَ فِي جَانِبِ بِنْيَامِينَ وَأَخِيهِ بِحَسَبِ ظَاهِرِ الْأَمْرِ، فَكَأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ كَانَ قَدْ سَرَقَ فَغَيْرَ بِدْعٍ مِنِ ابْنَيْ رَاحِيلَ؛ لِأَنَّ أَخَاهُ يُوسُفَ قَدْ كَانَ سَرَقَ، فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ قَوْلُهُمْ إِنْحَاءً عَلَى يُوسُفَ وَبِنْيَامِينَ.
وَقَوْلُهُمْ هَذَا هُوَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ وَالْإِخْبَارِ بِأَمْرٍ جَرَى لِتَزُولَ الْمَعَرَّةُ عَنْهُمْ، وَتَخْتَصَّ بِالشَّقِيقَيْنِ، وَتَنْكِيرُ "أَخٍ" فِي قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾؛ لِأَنَّ الْحَاضِرِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ وَقَالُوا لَهُ: لِأَنَّهُ كَانَ شَقِيقَهُ؛ وَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ السَّرِقَةَ الَّتِي نُسِبَتْ هِيَ أَنَّ عَمَّتَهُ رَبَّتْهُ وَشَبَّ، وَأَرَادَ يَعْقُوبُ أَخْذَهُ، فَأَشْفَقَتْ مِنْ فِرَاقِهِ فَأَخَذَتْ مِنْطَقَةَ إِسْحَاقَ، وَكَانَتْ مُتَوَارَثَةً عِنْدَهُمْ، فَنَطَقَتْهُ بِهَا مِنْ تَحْتِ ثِيَابِهِ ثُمَّ صَاحَتْ وَقَالَتْ: فَقَدْتُ الْمِنْطَقَةَ فَفَتَّشَتْ فَوُجِدَتْ عِنْدَ يُوسُفَ، فَاسْتَرَقَّتْهُ حَسْبَمَا كَانَ فِي شَرْعِهِمْ وَبَقِيَ عِنْدَهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَصَارَ عِنْدَ أَبِيهِ.
وَقَالَ قَتَادَةُ وَابْنُ جُبَيْرٍ: أَمَرَتْ أُمُّهُ أَنْ يَسْرِقَ صَنَمًا مِنْ ذَهَبٍ لِأَبِيهَا فَسَرَقَهُ وَكَسَرَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهَا تَغْيِيرًا لِلْمُنْكَرِ)(١).
مما سبق تبين لنا أن لفظ "الأخ" الذي ورد على لسان إخوة يوسف – عليه السلام- إنما يدل على نسبة بنيامين – عليه السلام- إليهم كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[يوسف: ٦٣]، فهم عبروا بلفظ "أخانا" على سبيل التودد والتطلف من أبيهم ليرسله معهم؛ وفيه "إيذانٌ بأن مدارَ المنع عدمُ كونِه معهم"(٢)، بينما استخدموا لفظ "الابن" الذي فيه دلالة على التبرء والبعد عن بينيامن بسبب سرقته صواع الملك كأنهم لا يعرفونه ولا ينتسبون إليه.

المطلب السابع: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿السِّقايَةَ﴾ ، ﴿صُواعَ﴾

لفظا: ﴿السِّقايَةَ﴾، ﴿صُواعَ﴾ ورد أحدهما أولاً في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ جَعَلَ السِّقايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، وثانيهما في

---

(١) البحر المحيط في تفسير القرآن، (٦ / ٣٠٨).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٤ / ٢٨٩).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾[يوسف: ٧٢]، فما الفرق بينهما؟

﴿السِّقَايَةَ﴾: مشربة يسقى بها، قيل: كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعاً يكال به لكن هذ بعيد قال الفخر الرازي: (وَهُوَ بَعِيدٌ؛ لِأَنَّ الْإِنَاءَ الَّذِي يَشْرَبُ الْمَلِكُ الْكَبِيرُ مِنْهُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يُجْعَلَ صَاعًا)(١).

وقيل: كانت الدواب تسقى بها ويكال بها. وقيل: كانت إناء مستطيلاً يشبه المكوك.

وقيل: هي المكوك الفارسي الذي يلتقى طرفاه تشرب به الأعاجم. وقيل: كانت من فضة مموَّهة بالذهب، وقيل كانت من ذهب. وقيل: كانت مرصعة بالجواهر(٢).

ولعل هذا يدلك على أن هذا الإناء قد اتخذ أولاً للشرب خالصاً ثم استعمل ثانياً للمكيال إلا أنه أُعدَّ خصيصاً للشراب؛ أو لهما معاً إلا أنه يغلب عليه استعماله في الشراب.

قال ابن عطية: (والسِّقايَةَ: الإناء الذي به يشرب الملك وبه كان يكيل الطعام للناس، هكذا نص جمهور المفسرين ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك وابن زيد.

قال القاضي أبو محمد: وفي كتب من حرر أمرها أنها شكل له رأسان ويصل بينهما مقبض تمسك الأيدي فيه فيكال الطعام بالرأس الواحد ويشرب بالرأس الثاني أو بهما؛ فيشبه أن تكون؛ لشرب أضياف الملك وفي أطعمته الجميلة التي يحتاج فيها إلى عظيم الأواني)(٣).

﴿صُواعَ﴾ وردت هذه اللفظة في سياق حديث القرآن عن المكيدة التي كادها يوسف – عليه السلام- لإخوته ليستبقي معه أخاه بنيامين.

أما عن أسرار ودلالات هذه الكلمة فيتضح من ذلك الآتي:

- حروف الفريدة أوفق وأدق في أداء المعنى المراد؛ فصوت الصاد المهموس لمن يتأمل يوحي بهمس الغلمان مع بعضهم عند افتقادهم إناء الملك، ثم الجهر في الواو والعين يحكي ارتفاع أصواتهم إعلاناً عن المسروق، وأنه شيء له قيمته وخطره.

- كما أن في التعبير بالصواع- في هذا السياق- قوة وجزالة وفخامة تتناسب مع ذكر لفظ "الملك" المضاف إليه، والقرآن الكريم يعمد إلى التناسب والتشاكل بين الألفاظ فيضع كل لفظة بجوار ما يناسبها ويشاكلها، وهذا عنوان من عناوين بلاغته وإعجازه.

---

(١) مفاتيح الغيب، (١٨ / ٤٨٦).

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، (٢ / ٤٨٩، ٤٩٠)، والجامع لأحكام القرآن، (٩ / ٢٢٩).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣ / ٢٦٣، ٢٦٤).

- التعبير بالصواع دون السقاية كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]؛ للإشارة إلى أن المأخوذ كان شيئاً نفيساً غالي الثمن؛ بدليل أنه أضافه للملك تأكيداً على نفاسته وغلو ثمنه، وارتفاع قيمته ومكانته بين أمثاله، ولفظة الصواع هي التي توحي بتلك المعاني في هذا المقام،ولو عبر بشيء آخر مكانها - قليل القيمة زهيد الثمن مثلاً- لما استطاع أن يكيد لهم، ويأخذ أخاهم منهم، وقد أعطوا أباهم المواثيق والعهود على عدم التفريط فيه.
- كما أن التعبير بتلك اللفظة –ومالها من دلالة- جعلت أخوته لا يعترضون على العقاب الذي ارتآه يوسف– عليه السلام- ، وأعطتهم العذر أمام أبيهم في عدم مقدرتهم على عودة أخيهم معهم؛ لأنه اجترأ على الاقتراب من صواع الملك النفيس.
- العدول عن المكيال والميزان، وهما مذكوران في القرآن إلى الصواع وهي لفظة وحيدة، فيه إيحاء إلى أن هذا الموقف فريد وحيد في القرآن، وفي تاريخ الأنبياء والإنسانية جمعاء على تلك الصورة التي حكاها القرآن الكريم.
- تشير تلك الفريدة إلى أن سرقة صواع الملك كان- في عرف الناس آنئذٍ- عملاً غريباً عجيباً، يستحق أن يؤاخذ فاعله بما يؤاخذ به وبخاصة أن هذا الصواع ليس كأي صواع بل كان مكيال الملك الذي يكال به في زمان القحط، فهو شيء نفيس عزيز المنال(١).
مما سبق تبين لنا أن هذين اللفظين ﴿السِّقَايَةَ﴾، ﴿صُواعَ﴾ فيه دلالة وتنبيهاً على أنه يسقى به، وتسميته صواعاً؛ لأنه يكال به(٢)، فهو اسم آلة يحتمل أنه كان متعدد الأغراض والاستخدامات آنذاك، والله أعلم.

المطلب الثامن: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿بَثِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾

---

(١) انظر: الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية تأليف: أ.د. عبدالله عبدالغني سرحان، (ص ١٠٩، ١١٠)– ط:١ الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم «تدبر»– مركز التدبر للإستشارات التربوية والتعليمية – الرياض –١٤٣٣هـ.
(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص٤١٦)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (٣ / ٢٣٢).

لفظا: ﴿بَثِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾ عطف أحدهما على الآخر في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٨٣]، والعطف يقتضي المغايرة، فما الفرق بينهما؟

الناظر في الاستعمال اللغوي لكلا اللفظين يجد أنهما متغايران؛ إذ "البث": تَفْرِيقُ الشَّيْءِ وَإِظْهَارُهُ، يُقَالُ: بَثُّوا الْخَيْلَ فِي الْغَارَةِ، وَأَمَّا الْبَثُّ مِنَ الْحُزْنِ فَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه حتى صار شَيْءٌ يُشْتَكَى وَيُبَثُّ وَيُظْهَرُ(١)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

أما "الحزن": فقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقال أيضاً: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

وكلمة "الحُزْنُ والحَزَنُ": فخشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغمّ، ويضادّه الفرح، ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشّنت بصدره: إذا حزنته(٢)، وهو خلاف السرور، وهو غلظ الهم عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي(٣)، وهو عام يدخل تحته الحزن الثقيل والخفيف، وما يذهل الإنسان وما لا يذهله؛ ولذا نفي الله عن المؤمنين أن يصيبهم الحزن أي حزن كان(٤).

لقد دلتا لفظي ﴿بَثِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾ على أن ذلك الهم قد ظهر على ملامح يعقوب – عليه السلام-، وأعرض عن إخوة يوسف غير آبهٍ بما يقولون، شاكاً في قولهم في مقام يفيدهم فيه التصديق، جائراً بالشكوى إلى الله يكاد الأسى يمزق قلبه، وهو شيخ كبير افترسه شعور الحزن على ولِيدين محبوبين، فقد تجمعت هنا آثار الجريمتين: فَقد يوسف، واحتجاز أخيه بنيامين.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، (١ / ١٧٢)، والكشاف عن حقائق التنزيل، (٢ / ٤٩٩)، ومعجم الفروق اللغوية، (ص ١٨٤).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص ٢٣١).

(٣) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (٥/ ٢٠٩٨)، والمصباح المنير، (١/ ١٣٤)، والتعريفات، (ص٨٦).

(٤) انظر: إرشاد العقل السليم، (٢ / ١١٢).

هذه المواقف المويئسة كان لها أثر بالغ على إخوة يوسف فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكان حسناً من القرآن - وهو يُعبّر عن تلك الحالات النفسية الدقيقة - أن يكون في التعبير نفسه ما يشير إلى تلك الحالات أبلغ(١).

مما سبق يظهر لنا أن بين الحزن والبث عموم وخصوص وجهي؛ لكن "البث": أشد الحزن، وهو ما يَرِدُ على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها، فسُميت المصيبة بثًّا مجازًا؛ لأن العبد يشكو إلى الله أن يرفع هذا الأمر أي سببه، أو أنه يشكو إلى الله أنه يبث ولا يستطيع أن يكظم، كأنما يطلب المعونة على الكظم(٢).

والقصد من ذكرهما معاً ﴿بَثِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾؛ الجمع بين نوعي الهم للدلالة على أن يعقوب يفزع إلى الله وحده في كل أحواله ويشكوله وحده أنواع همومه: الحزن القديم الذي تسلط واشتد وازداد مع الأيام صلابة وغلظاً، لا يلين مع الزمان ولا ينقاد للنسيان، والبث الجديد الذي وتزايد معه حتى ملأ الصدر على رحباته وضاق به الصبر على سعته، فلم يجد له حيلة ولم يستطع له علاجاً إلا أن يبثه إلى الله ويستعين به عليه(٣).

قال الفخر الرازي: (وَالْبَثُّ هُوَ التَّفْرِيقُ قَالَ تَعَالَى:﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٦٤]؛ فَالْحُزْنُ إِذَا سَتَرَهُ الإنسان كان سما وَإِذَا ذَكَرَهُ لِغَيْرِهِ كَانَ بَثًّا؛ وَقَالُوا: الْبَثُّ أَشَدُّ الْحُزْنِ، وَالْحُزْنُ أَشَدُّ الْهَمِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَتَى أَمْكَنَهُ أَنْ يَمْسِكَ لِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْحُزْنُ مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهِ، وَأَمَّا إِذَا عَظُمَ وَعَجَزَ الْإِنْسَانُ عَنْ ضَبْطِهِ وَانْطَلَقَ اللِّسَانُ بِذِكْرِهِ شَاءَ أَمْ أَبَى كَانَ ذَلِكَ بَثًّا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ صَارَ عَاجِزًا عَنْهُ وَهُوَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْإِنْسَانِ)(٤) أ.ه.

المطلب التاسع: أسرار ونكات ودلالات ألفاظ: ﴿مِصْرَ﴾، ﴿الْمَدِينَةِ﴾، ﴿خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، ﴿الْقَرْيَةَ﴾

جاء ذكر "مصر" في "سورة يوسف" في أكثر من موضع، وعني بها علماً على البلد المعروف الآن، وهي كالتالي:

قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١].

قال تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٠]

قال تَعَالَى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥].

---

(١) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، (٢ / ١٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، (٣ / ٢٧٣)، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (١ / ٧٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٣ / ٤٥).

(٤) مفاتيح الغيب، (١٨ / ٥٠٠).

قال تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢].
أما الموضعان الأولين فالمراد بها به "البلد المعروف" "مصر" باتفاق قول جمهور المفسرين(١).
أما الموضع الثالث: فالمراد ب "المدينة" هي مصر أيضاً في قول الجمهور أي أشعن الحكاية في مصر(٢).
أما الموضع الرابع: فالمعنى ب خزائن الأرض" يعني: أرض مصر(٣).
أما الموضع الخامس: فالمراد ب "القرية": اتفق الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ مِصْرُ، وَقَالَ قَوْمٌ، بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ قَرْيَةٌ عَلَى بَابِ مِصْرَ جَرَى فِيهَا حَدِيثُ السَّرِقَةِ وَالتَّفْتِيشِ(٤).
أسرار ودلالات التعبير بهذه الألفاظ:
- إطلاق لفظ "مصر" علماً باعتبار أول القصة، فنص الله – عز وجل- على البلد التي بيع فيها على جهة العموم.
- أطلق لفظ القرية هنا ولم يرد المعنى الحقيقي فقط، وهو ما أشار إليه العلماء في باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى قال تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢].
يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): "هذا مما جاء في اتساع الكلام والاختصار وإنما يريد أهل القرية، فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا"(٥).
وكأن القرية جميعها أهلاً وجدرانًا بالسؤال، وتصديق مقالتهم.
- قد ذكّر الفعل فقال: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ لقلة النسوة، والنُّسْوة والنِّسْوة، والنُّسْوان والنِّسْوان جمع المرأة على غير لفظه، والنِّسْوان والنِّساء جمع نِسْوة(٦)، وفي تفسير

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (١٥ / ١٧).
(٢) انظر: زاد المسير، (٢ / ٤٣٤)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، (٣ / ١٦١).
(٣) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (٢ / ٦١٨)، وتفسير القرآن للسمعاني، (٣ / ٤٠)، ومعالم التنزيل، (٢ / ٤٩٨).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، (١٨ / ٤٩٥)، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٢ / ١٢٩).
(٥) الكتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ١٧٤/١٥، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت، والمحيط والمحكم الأعظم: ٤٩٦/٦.
(٦) انظر: معاني القرآن، أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: احمد يوسف نجاتي وآخرون، ٤٣٥/١، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ت.

المنار أن لفظ النسوة: "جمع قلة للمرأة من غير مادة لفظها، ولم يبين لنا التنزيل عددهن ولا أسماءهن ولا صفاتهن؛ لأن الفائدة في العبرة محصورة في أن عملهن عمل جماعة قليلة يُعهد في العرف ائتمارُهن واتفاقهن على الاشتراك في مثل هذا المكر المنكر، في مدينة كبيرة كعاصمة مصر التي بلغت منتهى في الحضارة، وما تقتضيه من التمتع بالشهوات والزينة"(١).

وقيل في قوله: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: صفة لنسوة، والمقصود من ذكر هذه الصفة أنهن كن متفرقات في ديار المدينة، وهذه المدينة هي قاعدة مصر السفلى، وهي مدينة منفيس حيث كان قصر العزيز، فنقل الخبر في بيوت المتصلين ببيت العزيز(٢).

وتلك التفسيرات دالة على صفة أخرى من صفات أهل المدينة أنهم ليسوا جميعًا على قلب واحد، بل يتميزون بالانفرادية، وتفكك الروابط بين من يعيشون فيها، واختلاف طباعهم وعاداتهم، وطرقهم، إضافة إلى ما حظيت به من أسباب الحضارة والتطور والرفاهية.

- القرية التي طلب إخوة يوسف- عليه السلام- من أبيهم أن يسأل أهلها إنما هي مكان صغير من قرى مصر، وأقل حجمًا وعددًا من المدينة نفسها، ولم تأخذ تلك القرية بذلك الحظ الذي أخذت به المدينة من أسباب الحضارة والتطور والرفاهية.

- دلالة لفظ القرية على أن أهلها أناس يجتمعون - غالباً على شيء واحد، فهم يشتركون في الطباع، والعادات والتقاليد، وكذلك فإن حِرفهم متقاربة، بل تكاد تكون واحدة، خلافًا للمدينة التي يتميز أبناؤها بالانفرادية وتفكك الروابط بين كل من يعيشون فيها، واختلاف طباعهم وعاداتهم وطرقهم ومهنهم(٣).

- قوله تعالى: ﴿خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: دلالة على أن من حكم مصر كأنه حيزت له خزائن قوت الأرض؛ ولذا كانت هي الملاذ الآمن لمن حولها من البلاد في زمن القحط والجدب الذي وقع زمن يوسف – عليه السلام- وكذا في وقت الأزمات.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: مِصْرُ خِزَانَةُ الْأَرْضِ، أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِهِ:" اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ" أَيْ عَلَى حِفْظِهَا، فَحَذَفَ الْمُضَافَ(٤).

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (١٢/ ٢٤٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٢/ ٥٣).

(٣) انظر: القرية والمدينة في القرآن الكريم- "دراسة في التفسير الموضوعي"- د. دعاء سميح عبد السلام، (ص ٢٨ بتصرف)، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، مجلد ٢، العدد ٢، ٢٠١٦م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، (٩ / ٢١٣).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشكره على جزيل النعم والعطيات، وبعد أحبُّ أن أثبت أهم النتائج التالية:

- تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في القرآن الكريم فيه شحذ الأذهان، والحث على التدبر والتعقل لمعاني القرآن الكريم، والتنبيه على أهمية الدروس والعظات والعبر التي تضمنتها تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة.

- تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في القرآن الكريم فيه إثبات إعجاز القرآن الكريم، وبيان إلهية مصدره، وأنه من عند الله – عز وجل- فهو يضع كل لفظ في مكانه المناسب وبأسلوبه الرفيع وبيانه البديع دون تحريف؛ فلا اختلاف ولا تناقض فيما يذكر؛ قال تعالى:﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ {النساء:٨٢}.

- الذي يطالع هذه السورة الكريمة بتدبر وتأمل، يراها قد اشتملت على أوضح الدلائل، وأنصع البراهين التي تشهد بأن هذا القرآن من عند الله، فقد قصت علينا قصة يوسف- عليه السلام- مع إخوته ومع غيرهم بأسلوب مشوق حكيم، يهدى النفوس، ويشرح الصدور، ويكشف عن الخفايا التي لا يعلمها أحد إلا الله- تعالى-، ويصور أحوال النفس الإنسانية تصويراً بديعاً معجزاً .

- الملمح الدلالي للفظ الكتاب: الجمع والضم عن طريق الكتابة والخط، وفيه إشارة إلى تعظيم القرآن وحفظه، وأنه أول كتاب نال شرف هذه المنزلة عند العرب حتى كتبوه حفاظاً عليه من التحريف والتبديل كما وقع في الكتب السماوية الأخرى؛ ولاشتماله أيضاً على الأمر بالعبادة وعلى الأحكام الشرعية التي شرع الله للناس؛ لما في معنى "كتب" من الدلالة على الفرض والحكم .

- الملمح الدلالي للفظ "القرآن": جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحوادث التي وعد الله أن تقع بعد خاتم النبيين قبل النفخ في الصور، وجمع أيضاً الآيات والسور بعضها إلى بعض، وجمع ثمرة كتب الله تعالى كلها، وثمرة جميع العلوم .

- لفظ (الرب): تجيء في سياق ذكر فضل الله على الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين بينما لفظ الجلالة "الله": تأتي في سياق الجلاء والخشية والرهبة من المعبود، وقد استعمل يوسف – عليه السلام- اللفظين كل فيما يناسب معناه بحيث يضعه موضعه الصحيح.

- لفظ "السوء" أعم من "الفاحشة"، والعلاقة بينهما علاقة خصوص بعموم، وأن الملامح الدلالية لهذين اللفظين هي: الفعل القبيح، وشدة الاستهجان، والتعمد، وشدة الاستنكار والنفور.

وفي الجمع بين نفي اللفظين عن يوسف – عليه السلام- مبالغة في حفظه وبعده عن الخنا والفجور، وأعظم برهان على عصمة الله – عز وجل- لأنبيائه ورسله – عليهم السلام-.

- لفظا "الحلم"، و "الرؤيا" يشتركان في كونهما يراهما النائم، وقد ذكر أهل العلم فرقاً بينهما يتمثل في كون الرؤيا تغلب فيما يُرى من الخير، والحلم فيما يُرى من الشر والقبح، فلفظ "الرؤيا": فيه دلالة على الاضطراب والاختلاط والقبح والشر والنذارة، بينما "الحلم": فيه دلالة على الحسن والخير والبشارة.

- إن هاتين اللفظتين ﴿سنين﴾، ﴿عام﴾ قد وصفتا الحالة الاقتصادية والاجتماعية لأهل مصر في أثناء تلك الفترة، ولخصتا ما حل بهم من جدب وشدة، وانفراج ويسر؛ لفظ "السنة": تدل على القحط والجدب، وشدة المؤونة، بينما "العام" يدل على وفرة الخير وكثرته.

- لفظ "الأخ" الذي ورد على لسان إخوة يوسف – عليه السلام- إنما يدل على نسبة بنيامين – عليه السلام- إليهم كما قال تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنا أَخانا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ﴾[يوسف: ٦٣]، فهم عبروا بلفظ "أخانا" على سبيل التودد والتطلف من أبيهم ليرسله معهم؛ بينما استخدموا لفظ "الابن" الذي فيه دلالة على التبرء والبعد عن بينيامن بسبب سرقته صواع الملك كأنهم لا يعرفونه ولا ينتسبون إليه.

- لفظا ﴿السِّقايَةَ﴾، ﴿صُواعَ﴾ فيه دلالة وتنبيهاً على أنه يسقى به، وتسميته صواعاً؛ لأنه يكال به، فهو اسم آلة يحتمل أنه كان متعدد الأغراض والاستخدامات آنذاك.

- بين الحزن والبث عموم وخصوص وجهي؛ لكن "البث": أشد الحزن، وهو ما يَرِدُ على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها، والقصد من ذكرهما معاً ﴿بَثِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾؛ الجمع بين نوعي الهم للدلالة على أن يعقوب يفزع إلى الله وحده في كل أحواله ويشكو له وحده أنواع همومه: الحزن القديم الذي تسلط واشتد وازداد مع الأيام صلابة وغلظاً، والبث الجديد الذي وتزايد معه حتى ملأ الصدر على رحباته وضاق به الصبر على سعته، فلم يجد له حيلة ولم يستطع له علاجاً إلا أن يبثه إلى الله ويستعين به عليه.

- القرية التي طلب إخوة يوسف- عليه السلام- من أبيهم أن يسأل أهلها إنما هي مكان صغير من قرى مصر، وأقل حجمًا وعددًا من المدينة نفسها، ولم تأخذ تلك القرية بذلك الحظ الذي أخذت به المدينة من أسباب الحضارة والتطور والرفاهية.

- قوله تعالى: ﴿خَزائِنِ الْأَرْضِ﴾: دلالة على أن من حكم مصر كأنه حيزت له خزائن قوت الأرض؛ ولذا كانت هي الملاذ الآمن لمن حولها من البلاد في زمن القحط والجدب الذي وقع زمن يوسف – عليه السلام- وكذا في وقت الأزمات.

وأخيراً: أوصي جميع الباحثين والباحثات بضرورة النظر في باقي القصص القرآني لاستخراج الأسماء المتغايرة للمسمى الواحد، واستخراج النكات البلاغية والتربوية والسلوكية، وربطها بالواقع المعيش، والله أعلم.

وأسأل الله – جلا جلاله- أن يتقبل مني هذا العلم المتواضع، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن ينفع به المسلمين والمسلمات.

أهم المصادر والمراجع:

[١] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، ط: إحياء التراث العربي.

[٢] أسباب النزول للواحدي، المحقق: كمال بسيوني زغلول- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

[٣] الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية تأليف: أ.د. عبدالله عبدالغني سرحان– ط:١ الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم «تدبر»– مركز التدبر للإستشارات التربوية والتعليمية – الرياض –١٤٣٣هـ.

[٤] الإصابة في تمييز الصحابة- المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)- تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض- الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

[٥] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق- المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)- الناشر: دار المعارف- الطبعة: الثالثة.

[٦] أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، ط:١، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.

[٧] البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

[٨] البيان في عدّ آي القرآن- أبو عمرو الداني، المحقق: غانم قدوري الحمد- الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت- الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

[٩] التحرير والتنوير، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، ط : الدار التونسية، ١٩٨٤ه.
[١٠] تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
[١١] تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ط: ١: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ه .
[١٢] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د / محمد سيد طنطاوي، ط: ١، دار نهضة مصر، القاهرة.
[١٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)- المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
[١٤] جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)- المحقق: أحمد محمد شاكر، ط: ١: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
[١٥] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري- المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
[١٦] الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ط: ٢: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤ه.
[١٧] خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية- (رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)- المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)- الناشر: مكتبة وهبة- الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
[١٨] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، الناشر: دار الفكر – بيروت.
[١٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، ط:١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ.
[٢٠] زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن

بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ط: ١:دار الكتاب العربي،١٤٢٢ هـ
[٢١] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- الناشر: دار العلم للملايين – بيروت- الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
[٢٢] فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، ط: ١، دار ابن كثير، ١٤١٤ هـ.
[٢٣] الكشاف عن حقائق التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط: ٣: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
[٢٤] لسان العرب، ابن منظور، ط: ٣: دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.
[٢٥] لمسات بيانية في نصوص من التنزيل- المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي- الناشر: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان – الأردن- الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
[٢٦] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ط: ١: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.
[٢٧] مختار الصحاح- المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)- المحقق: يوسف الشيخ محمد- الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
[٢٨] مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)- حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي- راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط: ١: دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩ هـ.
[٢٩] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)- المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
[٣٠] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير- المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)- الناشر: المكتبة

العلمية – بيروت.
[٣١] المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، المؤلف: أبو الأعلى بن أحمد حسن المودودي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)-تقديم: محمد عاصم الحداد- تخريج: محمد ناصر الدين الالباني.
[٣٢] معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، ط: ١: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.
[٣٣] المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)- د. محمد حسن حسن جبل، ط١: مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٠ م.
[٣٤] معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم- لبيان المَلامِح الفَارِقة بين الألفاظ مُتَقارِبة المعنى، والصِّيَغ والأساليب المُتشابِهة – د/ محمد محمد داود – ط: دار غريب– القاهرة - ٢٠٠٨م.
[٣٥] معجم الفروق اللغوية- المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)- المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي- الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»- الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
[٣٦] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد عبد الباقي، ط: دار الحديث، ١٣٦٤ه.
[٣٧] معجم مقاييس اللغة- المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)- المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر- عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
[٣٨] مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط: ٣: إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
[٣٩] المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)- المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط: ١: دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.
[٤٠] النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م- تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	
المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة «سورة يوسف»	
المطلب الأول: فائدة تغاير الأسماء للمسمى الواحد في القصة الواحدة في القرآن الكريم	
المطلب الثاني: التعريف بسورة «سورة يوسف»	
المطلب الثالث: أهم المقاصد الكلية التي اشتملت عليها «سورة يوسف»	
المطلب الرابع: إحصاء المواضع التي وردت فيها تغاير الأسماء والمسمى واحد في «سورة يوسف»	
المبحث الثاني: أسرار ودلالات تغاير الأسماء والمسمى واحد من خلال «سورة يوسف»	
المطلب الأول: أسرار ونكات ودلالات لفظي: ﴿الْكِتابِ﴾، ﴿الْقُرْآنَ﴾.	
المطلب الثاني: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿رَبُّكَ﴾، ﴿اللهِ﴾.	
المطلب الثالث: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿السُّوءَ﴾، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾.	
المطلب الرابع: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿أَحْلَامٍ﴾، ﴿لِلرُّؤْيَا﴾.	
المطلب الخامس: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿سنين﴾، ﴿عام﴾.	
المطلب السادس: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿أخانا﴾، ﴿ابْنَكَ﴾.	
المطلب السابع: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿السِّقَايَةَ﴾ ، ﴿صُواعَ﴾.	
المطلب الثامن: أسرار ودلالات تغاير لفظي: ﴿بَنِّي﴾، ﴿وَحُزْنِي﴾.	
المطلب التاسع: أسرار ونكات ودلالات ألفاظ: ﴿مِصْرَ﴾، ﴿الْمَدِينَةِ﴾، ﴿خَزائِنِ الْأَرْضِ﴾، ﴿الْقَرْيَةَ﴾.	
الخاتمة	
المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	